سوء معاملة الأطفال في المجتمع

(بين الأسباب والآثار)

د.عبيدة صبطي /أ. الخنساء تومي

جامعة محمد خيضر–بسكرة

الملخص:

يعد موضوع الإساءة للأطفال من أكثر المواضيع التي تستحق العلاج والبحث في أهم خباياه خاصة في هذه الآونة وما تتعرض له الجزائر وأطفالها الأبرياء من سب وضرب وشتم و اغتصاب وخطف وتعذيب وسرقة أعضاء....الخ.

وعليه فإن الاهتمام بدراسة العوامل التي تساعد على حدوث الإساءة وكذلك الآثار المترتبة على هذه الإساءة **أمر في غاية الأهمية** لتحقيق الحماية والوقاية للأطفال من إساءة المعاملة بمختلف صورها الجسدية والنفسية والجنسية.**وهذا ما يهدف إليه هذا المقال.**

Résumé :

Le sujet de la maltraitance des enfants d'autres thèmes qui méritent le traitement et la recherche dans le plus important dans ce temps et contre l'Algérie et des enfants innocents d'avoir insulté et battu et la malédiction et le viol, l'enlèvement, la torture et les membres de vol .... etc.

En conséquence, l'intérêt pour l'étude des facteurs qui aident à la survenance de la violence, ainsi que les conséquences de cet abus est très important de réaliser la prévention et la protection des enfants contre les abus diverses formes de violence physique, psychologique et sexuelle. Cette initiative vise à cet article.

مقدمة

يعد العنف تهديدا كبيرا للصحة العامة، حيث يموت حوالي 4400 شخص في أنحاء مختلفة من العالم، بسبب أفعال عنف جماعية أو فردية موجهة ضد النفس أو ضد الغير، و يصاب آلاف البشر بعواقب صحية لأذيات غير قاتلة نتيجة تعرضهم أو مشاهدتهم أفعال عنيفة.ومع ذلك فمازلت الوقاية من العنف في كثير من البلدان مجالا جديدا أو ناشئا.

وبذلك فإن للعنف طيفا واسعا يشتمل على سوء معاملة الأطفال من قبل من يرعاهم، وعلى العنف الزوجي، وسوء معاملة المسنين، والعنف الموجه ضد الذات، والعنف الجماعي.الذي يفترض بالأطباء وضباط الشرطة والقضاة والباحثين الاجتماعيين والمرشدين النفسيين، وغيرهم ممن يتعاملون مع ضحايا العنف تفهم جميع أشكال وأنماط العنف و اكتساب المقدرة على التعامل معها، ولكن سيتم التركيز في هذه الورقة البحثية فقط على سوء معاملة الأطفال بهدف حمايتهم من الأخطار وما يواجههم من مشاكل في هذا العالم.

فالأطفال معرضون للإساءة من أحد أفراد أسرهم أكثر من أي شخص آخر، وتحدث الإساءة في كل المجتمعات، ويزداد حدوثها بفعل عوامل مختلفة اجتماعية وأسرية وشخصية.ففي عهد الدولة الرومانية مثلا: كان يتم تشويه الأطفال لاستدرار عطف الناس عليهم بغية التسول، وكذلك إلى عهد قريب كان يتم قتل الأطفال لأسباب سياسية أو دينية أو اقتصادية، ويساء إليهم بدون أية ضوابط اجتماعية، كما كان هناك اعتقاد شائع بأن إساءة معاملة الأطفال جسديا تبنى شخصياتهم وتقويها، وتلك النظرة كانت سائدة في العملية التعلمية أيضا، حيث كان هناك من يرى بأن الطالب يحتاج للضرب المبرح ليتعلم دروسه ويتقنها، وكان من الشائع والمقبول أن يقوم الكبار بممارسة العقاب القاسي على الأطفال.

وفي بعض الثقافات القديمة كان الأطفال يقدمون قربانا لإرضاء الآلهة، وكانت هذه الممارسات مقبولة اجتماعيا، وكان يعتقد أن قتل الأطفال المولودين بتشوهات خلقية يحمي آباءهم من الجن الذي تلبس هؤلاء الأطفال، وكان مرضى الصرع والتخلف العقلي هم أيضا من ضحايا هذا التصور[1].

ولقد بدأ الاهتمام ببحث موضوع إساءة معاملة الأطفال في الدول الأجنبية عام(1960) وذلك بعد اكتشاف أطباء الأشعة كيمب و سيلفرمان وستيل (Kempe ,Silverman & Steele)(1960) لحالة طفلة تعرضت لإساءة معاملة جسدية شديدة جداً مما أثار وسائل الأعلام في الولايات المتحدة الأمريكية، ومن هنا بدأ الاهتمام المنهجي المنظم في السبعينات والثمانينات، فظهرت بحوث ستراوس و جيلز و ستينمتز(Straus, Gelles& Steinmetz)(1980)، وفي التسعينات ظهرت البحوث التي تناولت ظاهرة إساءة معاملة الأطفال من أبعاد و وجهات نظر مختلفة ومتعددة[2].

أما في العالم العربي فقد بدأ الاهتمام بهذه الظاهرة متأخراً جداً، وحتى عندما بدأ هذا الاهتمام فأنه جاء محدوداً جداً، فقد كان عدد الأبحاث العلمية التي تناولت هذا الموضوع قليلاً جداً في الدول العربية عامة وفي المملكة العربية السعودية خاصة مقارنة بعدد الأبحاث في الدول الأجنبية[3].

وعليه فإن الاهتمام بدراسة العوامل التي تساعد على حدوث الإساءة وكذلك الآثار المترتبة على هذه الإساءة أمر في غاية الأهمية لتحقيق الحماية والوقاية للأطفال من إساءة المعاملة بمختلف صورها الجسدية والنفسية والجنسية.وهذا ما تهدف إليه هاته الورقة.

1.تحديد المفاهيم

نتيجة لاختلاف ثقافة المجتمعات في العالم فإنه يصعب وضع تعريف شامل لإساءة معاملة الأطفال أو ما أسماه بعض الباحثين بإيذاء الأطفال أو اضطهاد الأطفال، لأن ما يعتبر سلوكاً سوياً في التعامل مع الطفل في مجتمع ما قد لا يعتبر سلوكاً سوياً في مجتمع آخر، فعلى سبيل المثال قد لا يعارض مجتمع ما ضرب الطفل لدرجة إحداث الضرر الجسدي به إذا أخطأ التصرف، بينما يعارض مجتمع آخر كل أنماط التعامل مع الطفل التي تؤدي إلى إحداث ضرر بالطفل جسدياً ونفسياً ولو على المدى البعيد.ومن هنا يمكن القول بأن تعريف إساءة معاملة الأطفال لم يحسم حتى الآن بصورة دقيقة ولعل ارتباطه بصورة واضحة بالطفل وبنوع الإيذاء المعرض له وعلاقته بنوع الإساءة والثقافات والعادات والتقاليد لمختلف الشعوب دور في ذلك.

1.1 تعريف سوء معاملة الأطفال

لقد شهد تعريف سوء معاملة الطفل تطورا ملحوظا في العقود الماضية، فمن المفاهيم الكلاسيكية التي طرحت في هذا الموضوع ما قدمه كيمب وزملاؤه (Kempe et. al.) (1962) عن متلازمة الطفل المعذب والتي تصف سوء معاملة الطفل على أنها إيقاع الأذى الخطر، وإيقاع الإصابات الخطرة بالأطفال الصغار بواسطة الوالدين أو مقدمي الرعاية، والتي غالبا ما ينتج عنها الإصابات، والكسور، والتجمعات الدموية بالدماغ، وإصابات متعددة في الأنسجة الرخوة وعجز مستديم بل وحدوث وفيات[4].

هذا وقد عرفت **منظمة الصحة العالمية سوء المعاملة** بأنها: التعسف ضد الأطفال أو سوء معاملتهم، وكل أشكال المعاملة الجسدية والعاطفية والاعتداءات الجنسية والإهمال، أو المعاملة المتهاونة، أو الاستغلال التجاري، أو غيره من أشكال الاستغلال التي من شأنها أن تتسبب بإلحاق الأذى بصحة الطفل، أو حياته، أو كرامته، أو تطوره في سياق علاقة تنطوي على المسؤولية والثقة والسلطة[5].

إنها: كل فعل من جانب الوالدين، أو من جانب من يرعى الطفل يؤدي إلى موت الطفل، أو يؤثر علية نفسيا أو جسدياً، أو جنسياً، أو إهمالاً[6].

إنها كل فعل يعيق نمو الطفل النفسي والبدني والاجتماعي والعاطفي.إنها: أي فعل أو الامتناع عن فعل يعرض حياة الطفل وسلامته وصحته الجسدية والعقلية والنفسية للخطر، كالقتل أو الشروع في القتل والإيذاء والإهمال وكافة الاعتداءات الجنسية[7].

2.أنماط سوء المعاملة

يمكن تمييز عدة أشكال لسوء معاملة الأطفال، منها:

1.2 سوء المعاملة الجسدي

وهو التسبب بأي نوع من الأذى الجسدي للطفل من قبل من يرعاه نتيجة الضرب أو الصفع أو الركل أو الحرق أو غيرها، ويتضمن أيضاً الإفراط في الضبط والعقاب الجسدي[8].

2.2 سوء المعاملة الجنسي

أي فعل أو سلوك جنسي، أو ذو مغزى جنسي يمارس مع الأطفال، ويتضمن المداعبة والجماع واللواط وسفاح القربى والاغتصاب و الاستعراء ,والاستغلال الجنسي والتعريض لمواد إباحية[9].

3.2 سوء المعاملة النفسي (أو العاطفي)

وهي نمط سلوكي مستمر يتصف بانسحاب المسيء من العلاقة العاطفية الطبيعية مع الطفل، والتي يحتاجها لنمو شخصيته، وتشمل الإساءة الكلامية، وقد تكون على شكل استخدام طرق عقاب غريبة، منها حبس الطفل في حمام أو غرفة مظلمة أو ربطه بأثاث المنزل أو تهديده بالتعذيب، والاستخفاف بالطفل وتحقيره أو نبذه واستخدام كلام حاط من مكانته، أو تعنيفه أو لومه وأهانته[10].

3.أسباب سوء معاملة الأطفال

تقف وراء كل حالة اعتداء على الأطفال أو الإساءة إليهم مجموعة من المتغيرات والعوامل.وبالتالي من الصعب أن نضع بين إصبعنا على عامل واحد ووحيد كسبب أساسي ومركزي لحدوث هذه المشكلة.بعض الأسباب نجد جذورها في البنية الأساسية للمجتمع.بينما نجد عوامل أخرى متعلقة أكثر بشخصية الفرد (وخاصة المعتدي) ووجهة نظره تجاه الأطفال وتربيتهم.وما هو متوقع منهم ومن الحياة الأسرية إلى جانب وجهة نظره تجاه الحياة والعالم عامة.

بعض العوامل التي تحظى بما يشبه الإجماع في الأدبيات العلمية النظرية والعلاجية والامبريقية تتعلق بالأسرة التي يحدث فيها الاعتداء والإساءة أو الإهمال، من حيث تاريخ العنف في الأسرة، أو الأعباء الملقاة

على عاتقها الفقر مثلا، أو الضغوط العاطفية الحادة التي يتعرض لها أفراد الأسرة بما في ذلك الاضطرابات النفسية والعقلية.

إلا أن هنا إجماع في الأدبيات العلمية المعاصرة تفرض عدم النظر لعامل واحد أو سبب واحد يمكن إعادة المشكلة إليه دون غيرة من الأسباب فالضرورة العلمية تفرض رؤية الأسباب بصورة شاملة، تكاملية، وايكولوجية[11].

جولدمان وزملاؤه يقسمون عوامل وأسباب مشكلة الاعتداء على الأطفال إلى أربعة مجموعات أو مجالات من العوامل:

عوامل تتعلق بالوالد المعتدي أو بالراعي المعتدي، وعوامل تعود إلى الأسرة وعوامل متعلقة بالطفل الضحية وأخرى تتعلق بالبيئة التي يعيش فيها كل من المعتدي والضحية والأسرة.

الفكر التكاملي–الايكولوجي يرى أن هنالك عوامل مشتركة بين مجالات العوامل الأربع التي تقف وراء الاعتداء على كل طفل وطفلة ولكن ليس بالضرورة أن تكون ذات العوامل هي التي تقف وراء الاعتداءات على كل الأولاد.أي ليس بالضرورة أن تكون العوامل التي تقف وراء كل اعتداء متشابهة.

وقد أثبتت الأدبيات العلمية أن عوامل مختلفة قد تمارس دورا مختلفا من حيث مدى تأثيرها في حدوث أنواع مختلفة من الاعتداء والإساءة والإهمال.مثال تلك التي عرفناها سابق.فمثلا قد يكون بعض التشابه بين العوامل التي تؤدي إلى الاعتداء الجنسي والجسدي.ولكن هنالك أيضا عوامل قد تكون خاصة بالاعتداء الجسدي وأخرى بالاعتداء الجنسي[12].

1.3 عوامل الأهل أو مقدمي الرعاية

فقد يعاني أحد الوالدين أو الوالدين كلاهما أو مقدمو الرعاية للطفل من مشكلات تسهم في حدوث سوء معاملة الأطفال وإهمالهم، نذكر منها:اضطراب الشخصية والأمراض النفسية، والإدمان على الكحول والمخدرات، وسوابق التعرض لسوء المعاملة، والإهمال في الطفولة، وكذلك فإن معارف الوالدين ومواقفهما وعمرهما قد يؤثر في حدوثها[13]..

1.1.3 الشخصية والصحة النفسية.

بالنسبة للعامل الأول، أي الصفات الشخصية ليس من السهل أن نضع الأصبع على مجموعة محددة من العوامل المتعلقة بصفات الشخصية التي لها علاقة بالاعتداء على الأطفال والإساءة إليهم.إلا أن هنالك بعض الصفات التي تتكرر عند الوالد المعتدي جسدياً على أحد أطفال الأسرة، أو الوالد الذي يهمل أطفاله

ومنها: تدني الثقة بالنفس، إسقاط ظروفه على الآخرين وعلى العوامل الخارجية (فمثلا الاعتقاد أن ظروف الحياة تحدث بالصدفة، أو أنها حصيلة عوامل خارجية فوق طاقة أو قدرة الإنسان على ضبطها).

يضاف لذلك القدرة المتدنية على ضبط الذات والدوافع، الكآبة، القلق، والسلوكيات غير اجتماعية، ومع أن بعض أولياء الأمور المعتدين على أطفالهم يعانون من اضطرابات عاطفية ولديهم مشاكل سلوكية وانفعالية، إلا أنه لا يوجد أي إثبات بأنهم يعانون بصورة خاصة من اضطرابات نفسية أو عقلية حادة.

وقد أثبتت الدراسات أن ظروف طفولة الوالد، تمارس دورا كبيرا في التأثير على كيفية تصرفه كوالد مع أطفاله.فالأشخاص الذين كانت نماذجهم الوالدية ضعيفة أو أولئك الذين لم يتم إشباع حاجاتهم أثناء الطفولة بصورة مناسبة، قد يواجهون صعوبة كبيرة في إشباع حاجات أطفالهم أو تقديم الرعاية المناسبة لهم.

2.1.3 السوابق الوالدية وحلقة سوء المعاملة

كما أثبت الكثير من الدراسات أيضا، أن الكثير من أولياء الأمور الذين يعتدون على أطفالهم.كانوا أنفسهم ضحايا للعنف والاعتداء والإساءة والإهمال أثناء طفولتهم، وتنص الأدبيات الامبريقية في هذا المجال، على أن الأطفال الذين تعرضوا مباشرة بأنفسهم للاعتداء والإساءة أو شاهدوا العنف بين والديهم يتعلمون من تلك السلوكيات العنيفة والعدوانية، وقد يتعلموا أيضاً تبريرها وتأييدها والتساهل معها.وبالتالي قد يباشروا بأنفسهم الاعتداء على أطفالهم.

ولكن هنا يترتب علينا الحذر من التعميم، فليس كل طفل يمر بتلك التجربة يترعرع وينمو ليكون والدا معتديا.إذ أن هناك الكثير من الأشخاص الذين لم يكونوا في طفولتهم ضحايا للاعتداء أو الإساءة والإهمال، ومع ذلك نجدهم يعتدون على أطفالهم ويسيئون معاملتهم.والعكس أيضا صحيح، حيث نجد أن ما يقارب (67 %) من الأشخاص الذين وقعوا ضحايا للاعتداء والإساءة أثناء طفولتهم.لا يعتدون في الكبر على أطفالهم ولا يهملونهم[14].

3.1.3 الإدمان

أما بالنسبة لتعاطي المخذرات و أو الكحول.فنجد أن ما بين ثلث وثلثي الأطفال ضحايا الاعتداء والإهمال المعروفين لمؤسسات رفاهية الطفولة في الولايات المتحدة.تعاني عائلاتهم من مشكلة تعاطي المخدرات والكحول.

تعاطي الوالد للمخدرات و أو الكحول تتداخل وتلتقي مع قدراته العقلية والانفعالية المتدنية ومع قدرته الضعيفة في الحكم على الأمور وكبح الذات وضعف قدراته الدفاعية والوقائية.

وبالاعتماد على ذلك يمكن الاستنتاج أن الوالد الذي يتأثر بصورة ملحوظة من تعاطي المخدرات والكحول يميل في الغالب إلى إهمال حاجيات أطفاله، أنه يبذر أمواله على المخدرات بدلاً من صرفها على حاجيات الأسرة عامة. بما في ذلك حاجيات أطفاله الأساسية.أو انه يتورط في تصرفات إنحرافية وجنائية.قد تعرض صحة أطفاله وسلامتهم للخطر.

فقد أثبتت الدراسات أن تعاطي الكحول والمخدرات، يؤثر سلبا على اختيار الوالد لأساليب التربية والتهذيب والرعاية، وعلى الأغلب يميل لاختيار أساليب عدائية مسيئة ومؤذية.

ومع ذلك يجب الانتباه، أنه وبسبب حدوث الكثير من المشاكل في الأسرة (مثل تبذير الأموال والفقر، النزاعات بين الزوجين وما شابه) وفي الوقت تعاطي أحد أفرادها للكحول والمخدرات، يصبح من الصعب علينا أحيانا تحديد إذا ما كان الاعتداء على الأطفال هو حصيلة تلك المشاكل الأسرية العامة، أم أنه حصيلة تعاطي المخدرات والكحول على وجه التحديد.

فتعاطي الكحول والمخدرات، والمشاكل الأخرى في الأسرة والاعتداء على الأطفال تحدث جميعها في الكثير من الأحيان بصورة متزامنة، وأحيانا في أن واحد. يضاف لذلك الأمراض النفسية والاضطرابات العاطفية الحادة، الايدز أو المشاكل الصحية الأخرى، العنف ضد المرأة. الفقر والتجارب السابقة المرتبطة بالإساءة والاعتداء أثناء الطفولة. هذه المشاكل عندما تحدث بصورة متزامنة، تخلق ظروفا شخصية وأسرية صعبة ومتشابكة وشائكة جدا، فيصبح من الصعب حلها ومواجهتها، وتثقل كاهل الأسرة برمتها، مما يزيد من احتمالات حدوث الإساءة للأطفال وإهمالهم.

4.1.3 المعارف والمواقف

أما على صعيد الآراء والمعتقدات والمفاهيم والمعرفة، فنجد أن الآراء السلبية التي يحملها الوالد نحو الطفل عامة، ونحو سلوكه بصورة خاصة، إلى جانب المعلومات غير الصحيحة والخاطئة حول نمو الطفل وتطوره كل هذه العوامل تمارس دورا في حدوث الاعتداء على الطفل والإساءة إلية فمثلا، أثبتت بعض الدراسات أن الأم التي تعتدي جسديا على أطفالها، تحمل في العادة أراء سلبية نحو أطفالها، أو تتوقع منهم أعلى بكثير من التوقعات "الطبيعية" التي بإمكانهم تحقيقها. سواء من حيث أعمارهم أو قدراتهم.

لا شك في أن افتقار الوالد(أو أي شخص آخر يتولى رعاية الطفل) للمعرفة حول النمو الطبيعي للطفل، قد يؤدي إلى المبالغة في ما يمكن توقعه من الطفل، والى توقعات لا تتناسب مع قدرات الطفل وحاجياته في تلك المرحلة العمرية المحددة. وبالتالي فان عدم قدرة الطفل على تحقيق تلك التوقعات، تدفع بالوالد لممارسة الضغوط

عليه، بما في ذلك الاعتداء والإساءة كان يقوم الوالد، مثلا بضرب ابنه الذي يتبول على نفسه في السنة الأولى من عمره.

وهنالك بعض أولياء الأمور، الذين قد يشعرون بالإحباط لعدم معرفتهم كيفية التعامل مع تصرفات أطفالهم التي لا تلاقي استحساناً لديهم، أو لا تريحهم، وفي النتيجة يحاولون مواجهتها ومنعها من خلال استخدام العنف والاعتداء، كما قد نجد بعض أولياء الأمور الذين يحملون أراء ومعتقدات تنتقص من قيمة أطفالهم وقدراتهم ويتعاملون معهم باعتبارهم ملكية خاصة لهم[15]..

5.1.3 العمر

كما قد يكون عمر ولي أمر الطفل عامل خطر وسبب لبعض أشكال الاعتداء على ذلك الطفل، ومع أن نتائج الدراسات الامبريقية ليست منسجمة بل وفي بعض الأحيان متناقضة ومتضاربة بخصوص هذا العامل. إلا أن بعض الدراسات، وخاصة تلك التي اهتمت بالاعتداء الجسدي على الأطفال. وجدت كلما قل عمر الأم عند ولادتها للطفل الأول، كلما زاد احتمال اعتدائها جسديا على أطفالها.

يضاف لكل ما تقدم بعض العوامل المساهمة الأخرى، مثل المكانة الاقتصادية المتدنية، قلة الدعم الاجتماعي، ومستويات الإجهاد النفسي المرتفعة، كل هذه العوامل قد تمارس دوراً في التأثير على هذه المشكلة. وخاصة في حالات تدني عمر الأم عند الولادة الأولى، وخصوصا الأمهات المراهقات..

2.3 عوامل الأسرة

يزداد حدوث سوء معاملة الأطفال وإهمالهم في بعض الأسر نتيجة ظروفهم الحياتية مثل :الخلافات الزوجية، والعنف المنزلي، والطلاق، والبطالة، والضغوط المالية، والعزلة الاجتماعية، ورغم أن هذه الظروف قد لا تسهم في حدوث سوء المعاملة، إلا أنها قد تكون أحد العوامل الهامة في حدوثها[16].

1.2.3 بنية الأسرة

فبالنسبة لبنية الأسرة، وخاصة في الأسر واحدية الوالد تبين أن الأطفال الذين يعيشون في أسر يتحمل المسؤولية فيها ولي أمر وحيد، يواجهون مخاطر أعلى نسبيا على صعيد الاعتداءات الجسدية والجنسية والإهمال، مقارنة بما يتعرض له الأطفال الذين يعيشون مع الوالدين البيولوجيين.

فالأسر أحادية الوالد، في أغلب الأحيان، تعيش اقتصاديا تحت خط الفقر، ويتجلى ذلك في تدني دخل الوالد، الإجهاد والإرهاصات النفسية والاجتماعية، وارتفاع الضغوط الناجمة عن وقوع أعباء كبيرة، إن لم يكن كل المسؤوليات الأسرية، على عاتق هذا الوالد لوحده، يضاف لذلك تدني الدعم الاجتماعي، وهكذا تتكاتف كل هذه العوامل معاً لتزيد من إمكانية قيام هذا الوالد بالاعتداء على أطفاله. وإمكانية إهماله لهم.

2.2.3 الخلافات الزوجية والعنف المنزلي

أما بالنسبة للنزاعات الزوجية والعنف ضد الزوجة، فقد أثبتت الدراسات، أن ما بين 30 % و 60% من العائلات التي تعيش أجواء مشحونة بالشجارات العنيفة عموما، وضد الزوجة على وجه الخصوص، ترتفع فيها معدلات الاعتداء على الأطفال، والإساءة إليهم وإهمالهم.

فالأطفال الذين يعيشون في أجواء العنف الأسري، ويشاهدون العنف بين والديهم (حيث يمارس العنف عادة من قبل الأب/الزوج ضد الأم/الزوجة).في ظل هذا المناخ السلبي والمتوتر تصبح الإمكانية واردة لأن يقع الأطفال ضحايا للاعتداءات الجسدية من قبل أحد الوالدين.أو يجري إهمالهم، حيث يكون هؤلاء منهمكين في مشاكلهما الخاصة، وبالتالي لا يعود بمقدورهما تلبية احتياجات أطفالهم المختلفة.

وهكذا فإن الطفل الذي يعيش ويشاهد العنف بين والديه، يصبح تلقائيا في دائرة الخطر، ومعرض للاعتداء والإساءة إليه وإهماله.وحتى لو لم يقع ضحية الاعتداءات المباشرة عليه، فإن "مجرد" مشاهدته تلك التصرفات بين والديه، وعيشه في ظل هذه الظروف المشحونة والمتوترة، فإن ذلك يترك أثارا عاطفية ونفسية ضارة جداً عليه[17].

3.3 عوامل الطفل

قد يزداد احتمال سوء معاملة الطفل وإهماله نتيجة تفاعل عوامل الوالدين مع بعض خصائص الطفل مثل :عدم فهم الأهل لمراحل تطور الطفل ودرجة نموه الجسدي، والعقلي، والعاطفي، والاجتماعي، كما أن لعمر الطفل علاقة واضحة باحتمال تعرضه لسوء المعاملة والإهمال، فالطفل المصاب بإعاقة جسدية، أو عاطفية هو أكثر تعرضاً لسوء المعاملة والإهمال.

1.3.3 العمر

فالعلاقة بين عمر الطفل والاعتداء عليه غير قاطعة.حيث أنها تختلف حسب نوع الاعتداء والإساءة فمثلا في الولايات المتحدة الأمريكية.ومن بين حالات الاعتداء التي تم توثيقها عام 2000 تبين أن أعلى نسبة كانت بين الأطفال الذين تقل أعمارهم عن ثلاث سنوات (15.7) ضحية لكل ألف طفل في هذه المرحلة العمرية)، وكانت هذه النسبة تتراجع كلما تقدم الطفل في العمر.

فالعلاقة العكسية بين العمر والاعتداء قوية، وبصورة خاصة على صعيد حالات الإهمال، إلا أنه توجد إثباتات قاطعة حول طبيعة هذه العلاقة بالنسبة لأشكال وأنواع أخرى ممن الاعتداء الجسدي، الاعتداء النفسي والعاطفي والاعتداء الجنسي).

فالأطفال الرضع والأطفال الصغار، وبسبب صغر حجم جسهم، وظروف نموهم المبكرة.وحاجتهم الدائمة والمتواصلة للرعاية يجعلهم بصورة خاصة.عرضة للإساءة والاعتداء والإهمال.كما أن الأطفال الصغار والرضع أكثر عرضة لأشكال معينة من الاعتداء.بينما نجد الأحداث والمراهقين أكثر عرضة للاعتداء الجنسي.

2.3.3 الإعاقة

وأظهرت الأبحاث أيضا، أن الأطفال الذين يعانون من إعاقات جسدية، عقلية، وعاطفية هم أكثر عرضة للوقوع ضحايا للاعتداء من الأطفال الآخرين، وبصورة عامة.فان الأطفال المعاقين، أو الأطفال الذين يعانون من أمراض مزمنة، أو ذوي المزاج الصعب (مثل الأطفال الذين يعانون من الحركة الزائدة أو سريعي الغضب) قد يكونوا أكثر عرضة للوقوع ضحايا الاعتداء والإساءة والإهمال، بمعدلات أعلى مقارنة مع غيرهم من الأطفال.

وذلك لأن متطلبات الرعاية لهؤلاء الأطفال، وحاجتهم للرعاية الخاصة، قد تُرهق والديهم.وهذا قد يؤدي لظهور بعض الاضطرابات في العلاقة، وفي عمليات التقارب العاطفي والمودة بين الوالدين والطفل، وخاصة إذا كان هؤلاء الأطفال لا يستجيبون للمحاولات التي يبذلها الولدين عند التعامل معهم بمودة وألفة عاطفية، أو بسبب الفراق المتكرر بين الوالدين وهؤلاء الأطفال نتيجة دخولهم المستشفيات للعلاج.

أما الأطفال الذين يعانون من إعاقات، فيكونوا عرضة للاعتداء والإساءة المتكررة، لأنهم لا يدركون أو لا يعون أن السلوكيات المسيئة و الاعتدائية غير لائقة، وأيضا لأنهم قد لا يملكون القدرة للدفاع عن أنفسهم أثناء تعرضهم للإساءة والإهمال، أو لأنهم لا يستطعيون الهرب من المعتدي[18].

4.3 العوامل البيئية

قد تزيد العوامل البيئية من احتمال حدوث سوء معاملة الأطفال وإهمالهم مثل :الفقر والبطالة والعزلة الاجتماعية والخصائص المجتمعية .فالفقر المترافق مع الاكتئاب أو الإدمان أو العزلة الاجتماعية قد يرفع احتمال حدوثها، كما أن الآباء الذين يسيؤون معاملة أطفالهم يعانون من العزلة والوحدة ونقص الدعم الاجتماعي، وأن الترويج للعنف في المواقف الاجتماعية من قبل وسائل الإعلام قد يزيد من احتمال حدوث سوء المعاملة .ومع ذلك فمن الضروري أن نذكر أن معظم الآباء ومقدمي الرعاية الذين يعيشون في مثل هذه البيئات لا يسيؤون، وغالباً ما تترافق العوامل البيئية بالعوامل الأخرى[19] .

1.4.3 الفقر والبطالة

لقد أثبتت بعض الدراسات أن هنالك علاقة قوية بين الفقر والبطالة من جهة، وبين الاعتداء على الأطفال وخاصة إهمالهم من جهة أخرى فمثلا سيدلاك وبروهيرست وجدا أن أطفالاً من الأسر التي معدل

دخلها السنوي 15 ألف دولار أمريكي أو أقل.هم عرضة للإساءة والإهمال 22 مرة أكثر مقارنة مع أطفال من أسر معدل دخلها السنوي أكثر من 30 ألف دولار[20] .

وهنا نعود ونؤكد أن ليس كل الأسر الفقيرة تعتدي على أطفالها ولكن علينا الانتباه أن الفقر وخاصة عندما يرتبط ويتحد مع عوامل سلبية وخطرة أخرى مثل الإجهادات والضغوط النفسية والأسرية، الكآبة، تعاطي المخدرات أو الكحول، العزلة الاجتماعية– بإمكانه أن يزيد من احتمالات حدوث الاعتداء والإساءة وإهمال الأطفال في الأسرة.

ففي عام 1999 حددت 85% من العائلات في الولايات المتحدة الأمريكية، الفقر والإدمان على الكحول والمخدرات. باعتبارهما أصعب مشكلتين تواجهان العائلات الأمريكية التي توجهت بنفسها لمؤسسات حماية الأطفال من الاعتداء والإساءة والإهمال والاستغلال وأبلغت عن هذه الحالات.

هناك عدة نظريات تتطرق للعلاقة بين الفقر والاعتداء على الأطفال إحدى هذه النظريات تنص على أن تدني دخل الأسرة، يزيد من الإجهاد والضغوط النفسية والعائلية التي تواجهها الأسرة. وهذه تزيد بدورها من احتمال حدوث الاعتداء على الأطفال والإساءة إليهم .

2.4.3 العزلة الاجتماعية والدعم الاجتماعي

كما أثبتت بعض الدراسات أيضا، أن بعض أولياء الأمور الذين يعتدون على أو يهملونهم يعانون من مستويات عالية نسبيا من العزلة الاجتماعية. والشعور بالوحدة، ومستويات متدنية من الدعم الاجتماعي. مقارنة مع أولياء الأمور الذين لا يعتدون على أطفالهم[21].

فالعزلة الاجتماعية التي تعاني منها الأسرة عامة، أو الوالد المتعدي خاصة، قد تزيد من احتمال اعتداء أحد الوالدين أو كليهما على أطفال الأسرة، حيث أن الوالد الذي يعاني من العزلة. يعاني عادة من قلة الدعم المادي والاجتماعي والمعنوي والنفسي. ولا يحتك مع نماذج والديه ايجابية. ويشعر أن عليه القليل من الضغط الاجتماعي ليتماثل مع أو يطبق المعايير الدارجة والمقبولة اجتماعيا على صعيد سلوك الوالد السليم، إلا أنه في نفس الوقت ليس من الواضح بصورة قاطعة إذا ما كانت العزلة الاجتماعية تسبق حدوث الاعتداء على أطفال الأسرة(وبالتالي تكون عاملا أو سببا لذلك الاعتداء) أو أنها تأتي بعد حدوث الاعتداء (أي أنها تأتي كنتيجة لقيام أحد الوالدين بالاعتداء على أطفاله، مما يؤدي إلى عزله ونبذه اجتماعيا وقانونيا) [21] . **4.الآثار الناجمة عن سوء معاملة الأطفال**

قد تكون عواقب سوء معاملة الأطفال عميقة تستمر لأوقات طويلة بعد حدوثها، وتظهر تلك العواقب في الطفولة، أو في المراهقة، أو في الكهولة، وتؤثر في مختلف مظاهر تطور الفرد جسدياً واستعرافياً ونفسياً

وسلوكياً، وتتفاوت تلك العواقب من الأذيات الجسدية الخفيفة إلى الأذيات الشديدة والسلوك العدواني المتطرف والوفاة، وبناءا عليه تصنف آثار سوء معاملة الأطفال في ثلاث زمر متداخلة:

1.4 الآثار الطبية

وتظهر آثار التعديات الجسدية على الأطفال على شكل إصابات، وقد تظهر بشكل كسور في العظام أو خدوش، أو تمزق عضلي، أو تشوه، أو إصابات في الرأس، أو الوجه، أو جروح، كما تظهر على شكل صعوبات أو إعاقات في السمع أو النظر أو تخلف عقلي، كما إن الإصابات الخطيرة قد تؤدي إلى الارتعاش لدى الطفل، وتشمل الآثار انتقال الأمراض المعدية والخطيرة مثل الإيدز في حالة الإساءة الجنسية مما قد يودي بحياة هؤلاء الأطفال.

2.4 الآثار النمائية

يتعرض الأطفال الذين تساء معاملتهم إلى مشكلات متنوعة في النمو، وبعضها قد تكون دائمة، ومن أمثلة هذه المشكلات ضعف الذكاء أو التخلف العقلي، والآثار العصبية مثل صعوبات النطق والتعلم وتأخر اكتساب المهارات اللغوية.

وقد وجدت الدراسات ارتباط بين إساءة المعاملة والإهمال وخصائص متلازمة صغر القامة، وضعف القدرة العقلية، والمشكلات السلوكية، و قد ظهر خلال التشخيص أن الأطفال الذين تعرضوا لإساءة المعاملة الجسدية والإهمال لديهم تأخر في النمو و انخفاض في درجتهم على مقياس الذكاء، كما اظهر الأطفال الذين يعانون من تأخر النمو انخفاض في درجات النمو اللغوي على مقياس النمو اللغوي، ووجد أيضاً أن الوظائف المعرفية قد تأثرت لدى الأطفال الذين تعرضوا للإساءة الجسدية حيث أصيبوا بتخلف عقلي وعدم قدرة على الابتكار، وارتبط ذلك أيضا بتلف في الجهاز العصبي، وجود مشكلات عاطفية واجتماعية خطيرة، وإنجازهم منخفض في اختبارات اللغة والرياضيات، ولديهم إعادة للسنوات الدراسية واحدة أو أكثر، أما الأطفال الذين تعرضوا للإهمال فكانت درجاتهم منخفضة على اختبارات القراءة واللغة والرياضيات.

وأظهرت نتائج دراسة إليزابيث و وينشانك(1984) أن الطلاب منخفضي الانجاز الأكاديمي يعانون من القلق والاكتئاب والانطواء وانخفاض الكفاءة الاجتماعية، وإن آباء وأمهات هؤلاء الطلاب يتميزون بانخفاض المستوى التعليمي، وأكثر ميلاً لأستخدم العقاب البدني.

ويبين مارفنل (Marvinl) (1981) أن تعرض الأطفال للإهمال وإساءة المعاملة النفسية خلال سنواتهم الأولى والثانية والثالثة من العمر يعوق نموهم الجسدي وخاصة العظام، و يحدث لديهم تأخر في النمو العقلي (الذكاء) وخلل هرموني وخاصة في هرمون الغدة الدرقية، وبناء على ذلك يحدث تأخر في النمو.

3.4 الآثار النفسية و البعيدة المدى

إن هناك احتمال أن يصبح الأطفال الذين أسيئت معاملتهم نفسياً، والدين مسيئين لأطفالهم في المستقبل، وهناك نتائج نفسية ثلاث تظهر على الأطفال الذين تساء معاملتهم فهم عامة غير سعداء ورغبتهم محطمة في الاستمتاع بالألعاب، و يجدون صعوبة في إقامة علاقات سليمة وممتعة مع أقرانهم أو مع البالغين، كما أنه يمكن أن تظهر عليهم اضطرابات صحية وعقلية[22] .

وقد أظهرت أيضاً نتائج الكثير من الدراسات أن الأشخاص الذين تعرضوا للإساءة في مرحلة الطفولة يكونون أكثر عرضة للمعاناة من الاكتئاب العام والقلق واضطراب ضغط ما بعد الصدمة والإدمان في مرحلة الرشد، حيث يعتبر التعرض لإساءة المعاملة في مرحلة الطفولة عاملاً مهماً للإصابة بالاضطرابات النفسية في مرحلة البلوغ كآثار بعيدة المدى، وقد وجد تاريخ من التعرض للإساءة وخاصة الإساءة الجسدية لدى البالغين المصابين باضطراب ثنائي القطب، كما إن الإساءة المبكرة قد تهيئ الأشخاص إلى الإصابة بالاكتئاب في وقت متأخر.

وتشير الملاحظات الإكلينيكية إلى وجود علاقة وثيقة بين الممارسات الوالدية السلبية الاكتئاب، ويبدو أن البعد العاطفي في ممارسات الوالدين يرتبط بالاكتئاب، فقد تبين أن المكتئبين يصفون آباءهم وأمهاتهم بأنهم لا يعبرون لهم عن الحب ولا. يشعرون بالعطف منهم[23] .

وتوضح آنا فرويد Anna Freud (1970) أنه في حالات المعاملة السيئة فإن المعتني بالطفل يؤثر على تطور الأنا لديه، فالأم التي تسيء لطفلها تكون هي نفسها المصدر الخارجي له للتعامل مع البيئة الخارجية، كما تكون هي نفسها النموذج السيئ التي تسيء له، وبالتالي يخرج الطفل غير قادر على التفاعلات الاجتماعية السليمة، لأن المصدر الأول لتكوين أول علاقة اجتماعية سليمة هي التي تقيم الإساءة عليه[24] .

ويبين آدلر(Adler) أن العزلة الاجتماعية لدى الفرد تعود إلى تعرضه لإساءة المعاملة من الوالدين في طفولته أو حرمانه من الحب والعطف والتشجيع، مما يؤدي إلى شعوره بالنقص، وذلك نظراً لافتقاره إلى عامل الشعور الاجتماعي السليم

وقد أظهرت دراسة كيشت وفوتCichett& Foht (1995) أن الأطفال الذين تعرضوا للإساءة لديهم صعوبات تتعلق بالقدرة على تكوين علاقة صداقة بالأنداد و الغرباء .كما وجد مانلي وزملاؤه أيضاً Manly et. Al (1994) في دراستهم لأنماط إساءة المعاملة وعلاقتها بالكف الاجتماعي، أن الأطفال الذين تعرضوا للإساءة الجنسية أكثر كفاءة اجتماعية من الأطفال الذين تعرضوا للإساءة الجسدية والأطفال المهملين [25] .

الخاتمة

وعلى ضوء ما تقدم نستخلص بأن إساءة معاملة الأطفال أصبحت ظاهرة مرضية منتشرة في كل المجتمعات، يتعرض لها الأطفال الذكور والإناث، وليست مرتبطة بالأصل أو السلالة أوالدين أو اللغة .كما إن الإساءة للأطفال ليس لها كيفية واحدة في الحدوث، بل تتدخل فيها عوامل متعددة لا يمكن لأي منها منفردا أن يفسر حدوث هذه الظاهرة بدرجة كافية، ولكن التعرف على العوامل المسببة مهم لتحديد أهداف العلاج وتطوير برنامج الوقاية.

كما أن آثارها ممتدة إلى مراحل متقدمة من حياة الإنسان.وقد تحدث الإساءة للأطفال بين كلا من البالغين والأطفال وبين الأطفال أنفسهم، كما أن أنماط الإساءة متعددة و متشابهة بالإضافة إلى أنها مختلفة أيضا، وبالإضافة إلى إن آثار الإساءة طويلة المدى وخاصة غير المعالجة تكون مدمرة.

هوامش البحث:

(1) وزارة التربية، يونيسف، **دليل حماية الطفل في المدارس**، دمشق، سورية، 2008، ص 7.

(2) ماجدة أحمد حسن المسحر: **إساءة المعاملة في مرحلة الطفولة كما تدركها طالبات الجامعة وعلاقتها بأعراض الاكتئاب**، دراسة قدمت استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة ماجستير الآداب في علم النفس، مركز دراسات الأطفال المعوقين، المملكة العربية السعودية، 2007، ص 9.

(3) المرجع السابق، ص 9.

(4) المرجع السابق، ص 5.

(5) أوتاني صفاء: **تنظيم تدخل الجهات العامة في حياة الأسرة لحماية**، الأطفال من سوء المعاملة والإهمال، المؤتمر، العربي الحادي عشر للطب النفسي، دمشق، 2008، ص2.

(6) إدريس: إدريس، سامية حجازي: **سوء معاملة الأطفال**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الخرطوم.2002ص415.

(7) محمد أديب العسالي: **أساسيات، ...حماية الأطفال من سوء المعاملة والإهمال...في سورية**، إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية، (إصدار خاص)، سلسلة الكتاب الالكتروني،العدد13، 2008،.ص 242.

(8) سواقد، ساري -الطراونة، فاطمة: **إساءة معاملة الطفل الوالدية**، دراسات العلوم التربوية، المجلد 27 ، العدد2 ، عمان، الأردن، 2000، ص415.

(9) المرجع السابق، 415.

(10) ماجدة أحمد حسن المسحر: مرجع سبق ذكره، ص 19.

(11) محمد الحاج يحي: **اتجاهات المرشدين التربويين حول سوء معاملة الأطفال**، دراسة ميدانية في مدارس السلطة الوطنية الفلسطينية، 2006، ص21.

(12) المرجع السابق، ص 22.

(13) محمد أديب العسالي: مرجع سبق ذكره، ص 245.

(14) محمد الحاج يحي: مرجع سبق ذكره، ص22.

(15) المرجع السابق، ص23.

(16) محمد أديب العسالي: مرجع سبق ذكره، ص 245.

(17) محمد الحاج يحي: مرجع سبق ذكره، ص25.

(18) المرجع السابق، ص26.

(19) محمد أديب العسالي: مرجع سبق ذكره، ص 246.

(20) محمد الحاج يحي: مرجع سبق ذكره، ص27.

(21) المرجع السابق ، ص28.

(22) ماجدة أحمد حسن المسحر: مرجع سبق ذكره، ص 103.

(23) المرجع السابق، ص105.

(24) المرجع السابق، ص 110.

(25) المرجع السابق، ص ص 110–111.